# الباب الأول

# التربيـــة

---

معناها . أهميتهـــا للفرد والمجتمع .

أنواعها ، وعواملهـــا .

# معنى التربية

لما كانت التربية مرتبطة بالحياة من كل نواحيها ، وكان رأى الناس فى الحياة يختلف باختلاف وجهة نظر كل إليها . اختلف كذلك المفكرون فى أمرها . فبعضهم يعتبرها إعداد الفرد للقيام بواجباته فى المستقبل ، وإدراك الغاية التى ينبغى له الوصول إليها . كأن يُهيَّأ لأن يكون طبيباً أو مدرسا . وبعضهم يعتبرها عملية يراد بها إظهار القوى الباطنة الكامنة فى كل فرد ، واستثمارها لمصلحته ومصلحة المجتمع ، كالانتفاع من غرائز الطفل وذكائه . هذا وكان كثير من المفكرين قديما يعتقدون أن الشخص يولد وفى رأسه قوى متعددة كالحس والإدراك والذاكرة والحكم والاستنباط وغيرها . وكانت وظيفة التربية عندهم تدريب تلك القوى بتكرار تمرينها بواسطة مواد التدريس المختلفة .

أما علماء التربية اليوم فيعتبرونها عملية نفسية ، ترمى إلى إحداث أفضل ما يمكن من التغيير والتهذيب فى طبيعة الإنسان ، لينتفع من ذلك فى حياته على وجه يجعله فردا صالحا للمجتمع ونافعا لنفسه . والمقصود بطبيعة الإنسان ، ماوهبه الله تعالى من غرائز وقوى واستعدادات ونزعات مختلفة . فغرض التربية اليوم ينحصر فى تهذيب الغرائز والسمو بها إلى مستوى راق ، وتدريب القوى والاستعدادات الطبيعية تدريبا ملائما تعود فائدته على الفرد والمجتمع معا .

وتشمل التربية جميع المؤثرات التى تعمل على تغيير سلوك الإنسان الفطرى ، ورفعه إلى مستوى الإنسان الراقى ، وذلك بإعداد البيئة إعدادا صالحا ، وتعديلها تعديلا متزنا ، يكفل للفرد النمو الطبيعى مع التهذيب

الملائم ، والتدريب المناسب ، ليرقى جسما وعقلا وخلقا ، ويصل بالتدريج إلى أقصى ما يستطيع الوصول إليه من الكمال ، فيسعد فى حياته الفردية والاجتماعية على السواء .

## أهميتها للفرد والمجتمع :

يولد الكائن الحى مزودا بكثير من الغرائز الفطرية ، والميول المختلفة ، والقوى المتنوعة . ومن هذه الغرائز غريزة المحافظة على النوع ، وتشمل التناسل والأبوة والأمومة ومحبة الصغار وحمايتهم .

فكل إنسان أو حيوان يسعى لبقاء جنسه ، والمحافظة عليه من الانقراض ، بدافع غريزى قوى ، ثم هو يحتفظ بصغاره يدافع عنها ويحميها ويعنى بها ، حتى تصبح قادرة على القيام بكل ما تتطلبه حياتها .

فالحيوان يتعهد صغاره بالرضاعة ، ثم يمرنها على البحث عن الغـــذاء ، والدفاع عن النفس ، إلى غير ذلك ، حتى تسلك السلوك المناسب لحياتها بدون مساعدة الوالدين . وكلنا نلاحظ أن مدة تربية الحيوان وتربيته غير طويلة ، ولا تستلزم مجهودا كبيرا من الوالدين . وذلك لأن غرائز الحيوان ناضجة منذ ولادته . كما أنها ثابتة إلى حد محدود . بعكس الإنسان ، الذى هو أطول الحيوانات طفولة ، وأحوجها إلى التربية . فهو الكائن الحى الذى يخلق عاجزا جاهلا محتاجا إلى من يحوطه برعايته ، ويقوده إلى الصراط السوى . ثم يتدرج فى القدرة والعلم حتى يبلغ ما أعد له من الكمال على حسب استعداده ، ومقدار العناية بتربيته .

ولكى نفهم مبلغ عجز الطفل فى سنواته المبكرة وأهمية تربيته ، نذكر هنا شيئا عن حياته فى خلال السنوات الثلاث الأولى :

يخلق الطفل ضعيف الجسم والعقل ، ناقص الإدراك والفطنة ؛ لا يؤتى

الكمال دفعة واحدة ، وإنما يصل إليه تدريجا بالتربية الصحيحة والتعهد الصالح . وتتفاوت درجات نموه وكماله على حسب استعداده). وفى خلال السنوات الثلاث الأولى ، تحدث سلسلة من التغييرات تتفاوت فى السرعة والبطء . فإذا نظرنا إلى أعضاء جسم المولود ، وجدناها ناقصة غير مستكملة لنموها . ولا نجد بينها من التناسب ما نجده فى أجسام الكبار . فمثلا نسبة حجم الرأس إلى الجسم كله . تكون أكبر بكثير فى الطفل منها فى البالغ . غير أن النمو فى هذه المرحلة الأولى من الحياة يكون سريعا جدا .

هذا من جهة تكوين الجسم والأعضاء . أما الحواس ، فكلها موجودة ، إلا أنها لا تستطيع الإدراك دفعة واحدة بعد الولادة مباشرة . أما حركات الأعضاء ، فالطفل فى البداية لا يكون قادرا إلا على بعض حركات منعكسة وغريزية كالمص والبلع فى أثناء الرضاعة ، وتحريك الأصابع والجفون . وذلك لأن أعصابه وعضلاته لا تخضع فى هذه المرحلة لسلطان إرادته ، إذ أن مواطن المخ حينئذ لا تكون ناضجة . ثم يستطيع القيام بالحركات الإرادية تدريجا ، فيحرك يديه ورجليه حركات إرادية غير منتظمة . ثم يستطيع استبقاء رأسه وجذعه معتدلين ، ويتمكن من تحريك يديه ورجليه حركات كثيرة ، أميل للنظام من الأولى . ثم بعد ذلك يتعلم الزحف على يديه ورجليه ، ثم المشى بعد عناء كبير ، والانتقال من مكان إلى آخر ، مما يساعد على اتساع دائرة تجاربه وخبرته ، بتأثير البيئة التى يعيش فيها ، والتربية التى يحصل عليها .

( ويتأثر الطفل فى هذه المرحلة بكل ما حوله من المؤثرات الحسنة أو الرديئة ، لأنه مستعد لتقليدها جميعا ، دون أن يميز بين ما حسن منها وما قبح . فهو قابل لأن يتشكل على الوجه الذى نشاء ، كما تتشكل العجينة اللينة فى القالب الذى يروقنا . )

فعلى المربى أن يعنى بتربية حواس الطفل ، وأن يكون قدوة حسنة له فى كل شىء ، لانه مرآة تنعكس عليها صورة كل معاشريه . وكلما نمت قواه ومداركه العقلية بتدريب حواسه المختلفة والعناية بها : ازدادت رغبته فى فهم ما حوله تلبية لغريزة حب الاستطلاع المنبثّة فيه بالفطرة . فتراه يسأل عن كل شىء يقع عليه بصره ، ويمسك كل ما تتناوله يداه ، ويحاول أن يحله ويركبه ليكشف عن سره ، ويقف على حقيقته ويدرك ما خفى عنه .

من هذا يتضح لنا أن حياة الطفل ليست إلا سلسلة تغيرات متفاوتة فى السرعة والدرجة ، من حيث النمو الجسمى والعقلى . وأهم ما يجب علينا عمله هو تهيئة البيئة تهيئة مناسبة لتربية الطفل ، ثم العناية باختيار ما يناسب حال نموه ، لنسلك السبيل القويم فى تربيته التربية الصحيحة .

هذه نظرة عامة فى حياة الطفل الأولى ، تظهر لنا التغييرات التى يمر فيها فى سنواته المبكرة . ومنها نرى أن التربية ألزم للإنسان منها للحيوان ، إذ هى ضرورية لرفاهية الفرد والمجتمع .

وقد جعل الله الإنسان أطول الحيوانات طفولة ليكون لديه من الوقت ما يمكّنه من التعلم بنفسه ، مما يقوم به من التجارب العديدة فى لعبه ومرحه ، ومما يكتسب من خبرة آبائه الذين يهيّئون له الجو الصالح الذى يشبع رغباته ويضمن له عيشة رغيدة فى مستقبل حياته ، مستغلا فى ذلك ما زوّد به من القدرة على التعلم ، والاستفادة من الخبرات السابقة .

## أنواع التربية :

لما كانت التربية هى عملية التأثير بجميع المؤثرات المختلفة للوصول بالطفل إلى أقصى ما يمكن أن يصل إليه من الكمال كانت تشمل ما يكفل : —

( ١ ) نمو جسمه ( التربية الجسمية )
( ٢ ) تثقيف عقله ( « العقلية )
( ٣ ) تهذيب نفسه ( « الخلقية )

وهذه هى أنواع التربية الثلاثة .

وهناك تقسيم آخر لبعض المربين . فإنهم يقسمون التربيـــة إلى فردية واجتماعية . وتشمل التربية الفردية عندهم الثلاث الأنواع السالفة الذكر ( الجسمية والعقلية والخلقية ) .

التربية الجسمية : وهى العمل على تنمية الجسم نموا طبيعيا سليما ، وتقويته حتى يستطيع أن ينهض بالأعمال التى تفرضها عليه الحياة الشخصية والاجتماعية ، وليقاوم الأمراض المتعددة . فسلامة الجسم ضرورية للعمل عقليا ، كما هى ضرورية لسعادة المرء وهنائه .

وليست التربية الجسمية هى العناية بالرياضة البدنية فحسب . بل تشمل كذلك المنزل ونظام بنائه وتهويته . كما تشمل الملابس والأغذية والنوم والراحة وعدم الإرهاق وما إلى ذلك .

( التربية العقلية : وهى التسلح بسلاح المعارف المختلفة المفيدة للجهاد فى سبيل الحياة ، وترقية العقل من جميع نواحيه ، وتدريبه تدريبـــاً منظما على التفكير الصحيح ، وتمرين الحس على دقة التمييز ، وعلى إدراك الأشياء المحسة وتنظيم الذاكرة ، والتزويد بالمعلومات النافعة المناسبة لعقول الأطفال وحالة نموهم من غير إرهاق ، وتهذيب الخيال ، إذ هو عامل مهم من عوامل الابتكار والاختراع ؛ كذلك تعويد الطفل العادات الفكرية الحسنة .)

( والتربية العقلية لا تكون ناجحة إذا لم تكن حافزة للطفل على أن يبذل ما يستطيع من الجهد والتفكير فيما يعرض عليه ، وما يصادفه من مصاعب الحياة ، والعمل على التغلب عليها بنفسه . )

التربية الخلقية : هى تربية ترمى إلى تعويد الطفل جميل الصفات كحب العمل والشجاعة والاعتماد على النفس والصبر والتعاون وغير ذلك ، فهى تعمل على ما يأتى :

١ — تعديل الميول والغرائز الفطرية .

٢ — إكساب الطفل عادات وميولا جديدة مناسبة لحاله .

٣ — تكوين عواطف سامية تجعل الفرد يميل إلى عمل الخير ، ويبتعد عن الشر ليتمكن من العيشة الهنيئة فى حيـــاته . وبذا يعمل على ترقية المجتمع مضحياً فى سبيل ذلك بشىء من حريته ، مفضلا مصلحة الجماعة على مصلحته الشخصية . )

هذا وإن أقسام التربية الثلاثة ليست منفصلة بعضها عن بعض ، بل هى متصلة أتم الاتصال . فالتربية العقلية الصحيحة ، هى أيضا تربية خلقية ، لأن الأخلاق مظهر من مظاهر العقل . كذلك تأثير حالة الجسم فى العقل واضحة . ولو اقتصرت عنايتنا على التربية الجسمية ، لنشأ الطفل كالحيوان ؛ أو على التربية الخلقية وحدها ، لأصبح الطفل زاهدا فى الحياة ؛ أو على ترقية العقل فقط ، لضعف الجسم حتى لا يقدر على القيام بما يتطلبه العقل .

هذا ولا يفوتنا أن نذكر كلمة عن التربية الإجتماعية لأن بعض المربين يعلق عليها أكبر الآمال ، لضمان سعادة الفرد وسعادة أمته . ذلك لأن الفرد إنما يعيش للمجتمع وبالمجتمع . فهو وحده بناء الأمة التى هى منبع خيره وسعادته . والأمم بأفرادها إن عملوا علت وارتفعت ، وإن أهملوا ضعفت واستكانت .

ومن أنصار هذا الرأى « جون ديوى » ، المربى الأمريكى الذى تتمشى

فلسفته مع روح العصر الذى نعيش فيه . فالتربية فى نظر هذا العالم عملية اجتماعية ، الغرض منها :

(١) النمو وفقا للطبيعة ، (٢) الثقافة والتهذيب ، (٣) التكوين الاجتماعى

ولا بد من أن ترتبط هذه الغايات بعضها ببعض ، كى تؤهل الطفل لأن يكون عضواً متوافقاً مع المجتمع الذى ينتمى إليه ، والبيئة التى يعيش فيها ؛ كما يجب أن تكون المدرسة المكان الذى يحيا فيه الطفل الحياة الطبيعية الملائمة لسنه وعقله . وأن تكون فى الوقت نفسه على اتصال وثيق بالمنزل والحياة العامة .

## عوامل التربية :

كل مؤثر يؤثر فى الفرد . ويجعله أصلح للمعيشة الطبيعية فى بيئته ، يعد عاملا من عوامل التربية والعوامل نوعان :

١ — عوامل عامة : وهى التى لا سيطرة لنا عليها فى تربية الطفل ، مثل الوراثة وصحة الوالدين ومناخ القطر وموقعه ومستوى أهل الطفل المادى والاجتماعى وغير ذلك ، وهذه العوامل تارة تنفع وأخرى تضر ؛ ولهذا يجب علينا أن ندرسها ، وأن نتدخل فيها تدخلا فعليا بقدر الإمكان حتى يتمكن الطفل من أن يستفيد منها ، وبذا يتجه المجتمع كله فى تطوره إلى وجهات صالحة .

٢ — عوامل خاصة : وهى مختارة من بين العوامل العامة الكثيرة ، بقصد التأثير فى نفوس النشء ، لإحداث تغييرات معينة لمصلحة الفرد والجماعة ، ومثلها البيت والمدرسة والمجتمع .